

التحية ظاهرة اجتماعية أصيلة في تاريخ الشعوب ووسيلة لازمة للتواصل بين الناس

سارة سلامة |

«التحية عبر العصور» كتاب صدر حديثاً عن وزارة الثقافة - الهيئة السورية للكتاب، للدكتورين عمر وبشر الدقاق وهو عبارة عن دراسة تاريخية اجتماعية وأدبية لأدب المصافحة والسلام عند مختلف شعوب العالم وأشكالها وأنواعها

وكان في طبيعة ما انطوت عليه التجمعات البشرية ظاهرة التحية، تحية الفرد للأخر وتحية ما حوله وما يلوذ ببعشه في حاضره وماضيه وسائر علاقاته المتنامية في حياته المتطورة، وفي ضوء هذا الواقع التاريخي الغابر تجلت التحية معلماً بشرياً متميزاً اختص به الإنسان وحده وتفرده به من دون سائر مخلوقات الله، وبذلك نشأت التحية مع نشوء العلاقات الاجتماعية بين البشر، ثم تطورت وتوسعت مع توالي الأزمان وتعدد الأماكن وغدت التحية سمة إنسانية واجتماعية ونفسية وحضارية معاً تتم على بلوغ الإنسان القديم درجة متقدمة في تكوينه التنمائي والمتجدد.

ومع أن عنصر التحية أو السلام في طبيعة مقومات الحياة الاجتماعية لدى الإنسان وأقربها إليه والأصغرها بذاته فإنها لم تحظ باهتمام الدارسين على النحو المنشود، ويغلب على الظن أن البواكير الأولى لظاهرة التحيات إنما نشأت في رحاب المعتقدات الغابرة وضمن مناسبات دينية معينة، قبل أن يتبدى بزمن طويل مفهوم التحية الفردية، وذلك من خلال طقوس تعددية جماعية اقتضتها المناسبات الروحية والنزعات الغيبية لدى أولئك الأقسام الماضين.

السلام في اللغة

الفصل الأول جاء بعنوان التحية - السلام، ويسرد فيه المؤلفان بواكير التحيات عند البشر موضحين أنها نشأت ضمن مناسبات دينية معينة قبل تبلور مفهوم التحية الفردية لينتقل بعدها إلى تبيان التحيات الفرعونية في وادي النيل وتحية ملوك العرب السالفين. ومن ثم وضع الكتاب معنى التحية في اللغة فذكر أن السلام من أسماء الله تعالى لسلامته من النقص والعيب والفناء، والسلام هو التحية عند المسلمين والعرب، وهو أيضاً تحية أهل الجنة، وفي ذلك قال تعالى في كتابه الكريم: «تحيتهم فيها سلام»، ودار السلام الجنة، ونهر السلام دجلة وبه سميت بغداد مدينة السلام، والسلامة العاقبة والبراءة من العيوب والأفات، والسلام بالفتح مؤنثة وهي الصلح أي خلاف الحرب.

وبين الكتاب نشأة التحية في الإسلام وتاريخها حيث شهد العالم القديم في ضحى القرن السابع للميلاد انعطافاً كبيراً في تاريخ الشرق حين ظهر دين الإسلام على يد محمد بن عبد الله النبي المختار مبشراً بعبقيرة التوحيد، وذلك في رحاب مكة المكرمة والكعبة المشرفة، وكان هذا الحدث العظيم إيذاناً بقدوم عهد جديد في حياة العرب وتحولاتهم في كثير من مفاهيمهم الفكرية وحياتهم الاجتماعية وعاداتهم السالفة، وكان في جملة ذلك عزوفهم عن التحيات السائدة من مثل «أبيت اللعن» وسواها من التحيات التي تنطوي على الاستكائة والتلذذ للأخر، وترسخ التفاوت الطبقي، وكان البديل من كل

حسب المناسبات والأشخاص وتطورها عبر الزمن إلى يومنا هذا، ويقع الكتاب في ٢٥٤ صفحة من القطع الكبير.

عاشت البشرية في سالف الحقب عهداً مديدة من الركود والهمود، وفي ظل تجمعات بدائية كانت أشبه بقطعان من الظباء والوعول والذئاب وسواها من



للمنازل والديار والوطن والعشاق تحيات وكذلك لليل وطيف الحبيب

التحية رابطة اجتماعية وقومية تشد أوصار الشعب الواحد بعضها إلى بعض وتشكل بالإجمال أحد عناصر هويته ومقومات شخصيته، الذي يؤكد ملامح الهوية للجماعة أو الأسرة أو الطبقة.

وخصوصياتها مثالاً في حياتنا الحاضرة أن يقول أحدهم «السلام عليكم» فهي التحية العربية الإسلامية لمعظم الناس، على حين نسمع تحيات أخرى مغايرة في الوقت نفسه تنفوه بها شرائع اجتماعية أخرى مثل قولها «سعيدة» أو «سعيدة مباركة»، وهي سائدة لدى المسيحيين في بلاد الشام أي في سورية

ذلك تحية السلام والوثام ونبذ نزعات الكراهية والخصام.

التحية هوية

أما الفصل الثاني فتناول فيه الباحثان «أنواع التحيات» واختلافها تبعاً للأزمنة والأمكنة وتعدد الأقوام وتفاوت البيئات وتنوع الثقافات، فهي من الممكن أن تقتصر على كلمة أو غمزة أو إشارة أو جملة من الألفاظ والحركات، كما يضيء هذا الفصل على طرائق التحيات ومنها الملامسة، والتحية بالمكاتفة، والمؤانقة، والمعانقة، والتحية بالترتيب.

أنواع حيوانات البر والبحر والجو. ثم ما لبثت أن خضعت لسنة التطور حيناً بعد حين وأخذت تتمخض عن انبثاق ظواهر وإرهاصات تنم على بدايات ملامح حضارية جديدة خلال مسيرة الحياة البدائية عبر العصور.

ولبنان وفلسطين وهذه الكلمة اختصاراً أو بديل من ليلتك سعيدة، وهناك فئات متفرجة تؤثر في الوقت نفسه كلمة «بون جور»، أي نهارك طيب أو طاب يومك، وكذلك قول بعض الصغار والبالغين تحيات مجلوبة مثل هاي، باي، تشاو... حتى إنه لينطبق على هؤلاء وأولئك قولنا سيماهم في تحياتهم، اقتباساً من قوله تعالى في آيته الكريمة «سيماهم في وجوههم».

ويعتبر المؤلفان أن التحية هي هوية تميز الشعوب عن بعضها حيث ذكرنا أن: «لما كانت التحية ظاهرة اجتماعية كان من الطبيعي أن تحمل بصمات الأمم منذ القدم مثل السجود وتقبيل الأرض وهذا ما برجت عليه أمم عديدة في الماضي ومازالت أشكالها ماثلة في الهند واليابان وعدد من شعوب الشرق الأقصى، إذ أصبحت جانباً من تقاليدها الباقية، في تحيات مركبة أشبه بطقوس معينة قوامها الانحناء المتكرر وطاظة الرأس، مع ضم راحتي الكفين الواحدة لصق الأخرى وجعلها أمام الصدر..

كذلك شاعت في مجتمعات الغرب عادة تبادل التحيات بميل الرأس جانباً، وحتى الجذع إلى الأمام، مع ابتسامة خفيفة على الفم، فضلاً عن رفع اليد إلى أعلى، والانحناء في نظر علماء الحيوان والبيولوجيا ترجع جذورها إلى ظاهرة التقوقع عند الحيوان حين يجد نفسه ضعيفاً مغلوباً تجاه الخصم، فيجمع جسده بعضه إلى بعض ويخفض الرأس والنظر، وكذا الإنسان فإن رفع الرأس ينم على الاعتدال.

وتعتبر التحيات العسكرية هي الأشهر لدى جيوش العالم، وهي ليست قديمة قدم الجيوش نفسها، ولكنها سادت بعددٌ ضمن تطور أنفثة العتبية وأصبحت موحدة الطابع والأسلوب إلى حد كبير لدى مختلف الدول، ومع ذلك عدت منظمات خاصة ذات طابع سياسي أو اجتماعي إلى اصطلاح تحيات مشابهة للتحية العسكرية كان أشهرها الحزب النازي الذي ظهر بقوة في ألمانيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى التي انجلت عن هزيمة دول المحور أي ألمانيا وإيطاليا واليابان أمام دول الحلفاء بريطانيا وفرنسا ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ابتدع الفوهرر أدولف هتلر التحية الخاصة للحزب النازي وهي مد الزراع الأيمن إلى الأمام بحيث يكون مشدوداً بقوة ومشكلاً زاوية نصف قائمة مع الجسد، وتؤدي هذه التحية بطابعها العسكري مقترنة بالتحية المنطوقة «هايل هتلر» أي يحيا هتلر، وذلك على نحو فردي أمام الأعلى رتبة أو جماعية لدى مسيرة كتائب الحزب واستعراضاته، ويتم ذلك كله تحت رايات الحزب الخاصة أيضاً والمتميزة التي تتجلى في إبراز الصليب الأسود المعقوف الذي ابتدعه هتلر واتخذ رمزاً لألمانيا الجديدة.

تحيات العشاق

ويخصص الكتاب في فصله الثالث جزءاً لتحيات المنازل والأديار والأوطان والعشاق والمحبين ومخاطبة الليل ومناجاة الريح والتحيات بالسفيا وتحية الطيف وغير ذلك. وبين المؤلفان في تحيات العشاق والمحبين أن استقرار أجمل أشعار العرب، قديمها وحديثها يبين بجلاء أن للتحية في قصائد الغزل والنسيب حيزاً بارزاً لا يضارعه شأن إلا ما كان من شعر كثير في الوقوف على الأطلال وبكاء الأحبة ووصف المنازل والديار، وقد

مجموعة شركات «قاطرجي»

تقيم مأدبة إفطار لكافة كوادرها في المحافظات



تكريماً للعاملين فيها أقامت مجموعة «قاطرجي» للتجارة والاستيراد والتصدير مأدبة إفطار رمضانية عامرة وذلك في مطعم «ديونز» دعت إليه كل العاملين فيها وتمنت لهم شهراً كريماً وطيباً، وعملاً مريحاً ومجدياً في المجموعة.

